الجودة في التراث العربي: مهارة تعليم الخط

الدكتور جاسم علي جاسم*

الملخص

لم تكن الجودة من إبداعات هذا العصر الحديث، بل ضاربة الجذور عند العرب منذ القديم. ولقد بحثوا هذا الموضوع بشكل معمق في مؤلفاتهم العلمية، إذ كان الشعراء يجلسون ويتبارون في أسواق مكة المكرمة لاختيار أجودهم شعراً، وذلك من قبل لجنة الجودة التي تحكم على شعرهم. وكان للمعاني - التي عليها مدار النظم وأحكامه - نصيب وافر من الجودة. ولقد أوفى الجرجاني هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة، الذي عاب على الجاحظ اهتمامه باللفظ الظاهر الذي لا يكون له أهمية إلا إذا كانت معانيه سامية. أضف إلى ذلك؛ أن الخط العربي له فضيلة كبيرة في اللغة، ولقد شرفه الله بقوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون ﴾[1]. إن قسم الله بهذا القلم، له من الشرف العظيم الشيء الكبير، وإن صاحبه يتبوأ مكانة عالية في الأمة. وإن الكاتب المعتبر هو المقرب من السلطان في معظم الأمور إن لم يكن كلها. ونظراً لما لعلامات الترقيم من أهمية كبيرة في اللغة، وذلك لمعرفة فواصل الكلام ووصله، وبداية الكلام ونهايته، روعيت معايير الجودة في كل هذه الأمور السابقة، وحظيت بدراسة مستفيضة عند العرب قديماً.

* معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية

1- سورة القلم:1 .

المقدمة

إن الله عز وجل أتقن كل شيء خلقه؛ حيث يقول:﴿صُنْعَ اللهِ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ إنه خبير بما تفعلون﴾[2]. والله سبحانه وتعالى، يحب أن يتقن الإنسان عمله، حتى يكون مقبولاً.

وفي الحديث الشريف: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[3]. إن إتقان الإنسان لعمله -على الوجه الذي يرضي الله عز وجل- سُنَّةٌ حسنة؛ حثَّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وشجَّعها.

إن الجودة لم تكن بدعاً من القول من بدع القرن الحادي والعشرين وما سبقه بقليل جداً. إنها متأصلة الجذور عند العرب منذ فجر الجاهلية، ولقد أوفوها بحثاً ودراسة. حيث كان الشعراء يتبارون في أسواق مكة المكرمة لاختيار أجودهم شعراً. حيث كان الشاعر يجلس على منصة يلقي قصيدته، وبعد أن ينتهي منها، تَحْكُم لجنةُ الجودة (التحكيم) على القصيدة. وبعد أن تُصادق اللجنة على القصيدة، وتُوسَمُ بالجودة؛ تُكتَبُ بماء الذهب، وتُعَلَّق على أستار الكعبة؛ تنويها بأهميتها، وإعلاء لشأن صاحبها. ولم يقتصر الأمر على الشعر فقط، فالمعاني لها نصيب من الجودة كذلك. والأهم من ذلك؛ أن الخط العربي، لم يكن بعيداً عن هذا الميدان؛ فلقد روعيت فيه معايير الجودة، ووصف بأجود الصفات. وحظي بدراسة مستفيضة من قبل الباحثين القدماء[4] وما يتصل به من علامات الترقيم.

3- سورة النمل:88.

3- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير. المعجم الأوسط. 1428هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. الباب: من اسمه أحمد، ج2، ص 408، رقم الحديث 909.

4- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. لا تاريخ. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر. ج2، ص 961-972.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان ومناقشة مسألة الجودة، والبحث في جذورها التاريخية عند العرب القدماء؛ من خلال: الشعر، والمعاني، والخط، وعلامات الترقيم. وسوف يكون التركيز بشكل كبير على الخط العربي وعلامات الترقيم، لالتصاق الخط بحياة الكثير من الناس، ولأن إجادته تعد مصدر تقدير واحترام لصاحبه عند علية القوم.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن الأسئلة التالية:

1- هل تحدث العلماء العرب عن الجودة؟

2- هل ناقش العلماء العرب معايير الجودة في الخط العربي؟

3- هل تطرق العلماء العرب إلى استخدام علامات الترقيم في الخط العربي أم لا؟

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى:

1- بيان أسبقية العرب القدماء في الحديث عن الجودة.

2- إبراز دور العلماء العرب القدامى في مناقشة معايير الجودة في الشعر والمعاني والخط العربي.

3- إسهام العلماء العرب في استخدام علامات الترقيم في الخط العربي.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهجين: التاريخي والوصفي، في مناقشة موضوعات هذا البحث. وذلك من خلال جمع المعلومات، ومناقشتها، ووصفها، وعرضها، بشكل علمي دقيق.

أدوات البحث:

لقد استخدم الباحث المقابلة الشخصية كوسيلة لمعرفة المزيد عن جودة الخط وعلامات الترقيم، لإثنين من أشهر الخطاطين في العالم، التقاهم في ملتقى "مجمع الملك فهد لأشهر خطاطي المصحف الشريف في العالم" الذي نظمه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، في شهر جمادى الأولى لعام 1432هـ 2011 م.

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث - فيما توفرت لديه من مراجع - على دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع بشكل واضح. وأحسب أن التطرق لبيان أهمية هذا الموضوع في الوقت الراهن أمر جديد. وإن الدراسات السابقة لم تعر الخط أي اهتمام، وبالتالي فإن هذا البحث يفتح المجال واسعاً للدراسات المستقبلية لمناقشة مثل هذه المواضيع في اللغة العربية.

إن قضيتي: الشعر الجاهلي واختيار أميز القصائد وأجودها، وقضية المعنى التي بحثها الجرجاني في دلائله تعدان من الدراسات السابقة في هذا الموضوع. وفيما يلي عرض هذه الموضوعات:

أولاً: الجودة عند العلماء العرب

لقد كان الإحساس بالجودة والشعور بها حاضراً في أذهان العلماء العرب منذ الجاهلية. وبيَّنوا هذا الجانب في مجالسهم الشعرية والأدبية والنقدية وغيرها. ولقد حظي الشعر والمعنى بنصيب وافر من هذا الموضوع، وغير ذلك من الموضوعات الأدبية الأخرى كالنقد مثلاً. وعلى سبيل المثال: المُشَادَّة الكلامية التي دارت رحاها

بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت في هذا الخصوص. وهاكم هذين البيتين لحسان ابن ثابت[5]:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً
ولدنا بني العنقاء وابني مُحرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال النابغة: أنت شاعر، ولكنك قللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

وسوف نقصر الحديث هنا على الشعر والمعنى لأهميتهما، وبيان أسبقية العرب في هذا المجال.

أ- الجودة في الشعر

لقد اهتم العرب بالشعر اهتماماً كبيراً، واعتنوا به عناية بالغة منذ العصر الجاهلي. وفي هذا الخصوص يذكر الزوزني[6]:

"فيقولون إن الشعراء في الجاهلية كانوا يقصدون أسواق العرب التي كانوا يقيمونها كل سنة بجوار مكة فيتناشدون الأشعار، وكان يُنْصَب للشاعر فيه ربوة فيصعد إليها، وتحدق به العيون، وتشرئب إليه الأعناق، فينشد قصيدة عليهم حتى يأتي

5- المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى. الموشح. تحقيق: علي محمد البجاوي. 1965م. القاهرة: طبعة دار نهضة مصر. ص 82-83.

6- الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين. 1983م. شرح المعلقات العشر. بيروت: دار مكتبة الحياة. ص16-17. وللمزيد انظر؛

- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى. أشعار الشعراء الستة الجاهليين. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. 1983م. الطبعة الثالثة، بيروت: دار الآفاق الجديدة. ج1، ص21-22.

على آخره، فلا يقاطعه أحد ولا يستوقفه، فإذا ما أحكم القول، وبلغ من الفصاحة ما وقع اتفاقه على حسنه وإجادته، كتبوه بحروف الذهب على نفيس الديباج، وعلقوه على الكعبة المشرفة، تنويهاً بشأن صاحبه، وتخليداً لذكره... وقال ابن رشيق: وكانت المعلقات تسمى المُذَهَّبات، ذلك أنها اختيرت من سائر الشعر القديم، فكتبت في (القباطي) بماء الذهب وعلقت على الكعبة، فلذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره، ذكر ذلك غير واحد من العلماء".

ويقول الجاحظ عن جودة الشعر[7]:

"وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً، وسُبِك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان".

ولقد صنف ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أصناف من حيث الجودة؛ هي[8]:

"قال أبو محمد في حديثه عن أقسام الشعر: تدبَّرتُ الشعر فوجدتُه أربعة أضرب:

1- ضرب منه حسن لفظُه وجاد معناه. كقول القائل في بعض بني أمية:

في كَفِّــهِ خَيْزُران ريحــهُ عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَع في عِرْنِينِه شَمَــمُ
يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِن مَهابَتِه فَمَا يُكَــلَّمُ إلا حــين يبتــسمُ

2- وضرب منه حسن لفظُه وحلا، فإذا أنت فتَّشتَه لم تجد هناك فائدة في المعنى؛ كقول الشاعر:

ولمَّا قَضَــينا من مِنــىً كُلَّ حــاجةٍ ومَسَّحَ بالأركانِ من هو ماسحُ

7- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. وضع حواشيه: محمد باسل عيون الــسود. 2003م. الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية. ج1، ص67.

8- ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم. الشعر والشعراء. حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: مفيــد قميحة ومحمد أمين الضنّاوي. 2006م. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية. ص 13-16.

وشُدَّتْ عَلى حُدْبِ المهاري رِحـــالُنا ولا يَنْظُر الغادي الذي هو رائحُ

أَخَذْنـــا بأطراف الأحـــاديـــث بيننا وسالتْ بأعناقِ المَطِـــيِّ الأباطِحُ

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ؛ وإن نظرتَ إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطيُّ في الأبطح.

3- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة[9]:

ما عاتَبَ المَرْءُ الكريمَ كنفسه والمرءُ يُصلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق.

4- وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه؛ كقول الأعشى في امرأة:

وَفُـــوهـــا كأقـــاحِـــيَّ غَـــذَاه دائـــمُ الهَـــطْل

كَمَا شِـــيْبَ بِـــراحٍ بَـــا ردٍ مِنْ عَـــسَلِ النَّـــحْـــلِ

ب- الجودة في المعنى

لم يقتصر الأمر على الألفاظ فقط، بل تعداها إلى المعنى الذي تقف خلفه الألفاظ. فإذا جاد المعنى جادت الألفاظ. وإن المعنى هو الأصل، واللفظ تبع للمعنى. فها هو الجرجاني[10] يحدثنا عن جودة المعنى؛ حيث عاب على الجاحظ النظرة السطحية

9- ربيعة، لبيد بن. ديوان لبيد بن ربيعة العامري. بيروت: دار صادر. ص 224.

10- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه: أبو فهـر شـاكر: محمـود محمـد. 1404هـ 1984م. القاهرة: مكتبة الخانجي. ص255-275. وللمزيد انظر؛

- جاسم، جاسم علي. علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. 2009م. مجلة العربية للنـاطقين بغيرها، العدد السابع، السنة السادسة. ص 52-57.

للغة؛ حينما استشهد ببيتين من الشعر، أغفل فيهما ظاهرة المعنى وانتصر للفظ انتصاراً عظيماً. حيث يقول الجاحظ [11]:

"لا تَحْسَبَنَّ المَوتَ مَوتَ البِلَى وإنَّما المَوتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ

كِلاهُمَا مَوْتٌ، ولَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِن ذَاكَ على كُلِّ حالْ"

ثم قال: "وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وصِحَّة الطبع، وكثرة الماء، وجَودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير". فقد تراه كيف أسقط أمر المعاني، وأبى أن يجب لها فضل فقال: "وهي مطروحة في الطريق"، ثم قال: "وأنا أزْعُم أن ابن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً"، فَأَعْلَمَكَ أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنه إذا عَدِم الحُسنَ في لفظه ونظمه، لم يستحقَّ هذا الاسم بالحقيقة.

من خلال المناقشة الموجزة لقضيتي الشعر والمعنى، وجدنا أن العرب بحثوا في موضوع الجودة وأبدعوا فيها إبداعاً حسناً. وبعد هذه اللمحة العامة اليسيرة عن الجودة عند العلماء العرب. يمكننا أن ننتقل الآن إلى الحديث عن الجودة في الخط العربي.

ثانياً: الجودة في الخط العربي

سوف نسلط الضوء هنا على بعض الأمور التي لها صلة بفضيلة الخط، وتحسينه، ومعايير الجودة فيه، وما يتصل بذلك من قضايا.

1 ً - فضيلة الخط

لقد ناقش العلماء العرب فضل الخط الجيد، وذكروا صفاته ومناقبه. كما ذكروا مثالب الكُتَّاب في هذا الشأن. وفيما يلي نستعرض ما قالوه في هذا الموضوع.

11- الجاحظ. الحيوان. المصدر السابق. ج3، ص67.

لقد ناقش القلقشندي[12] فضيلة الخط مستشهداً بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأقوال العلماء، التي تُثْبِت هذا الفضل للخط العربي.

قال تعالى: ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم﴾[13]. فأضاف تعليم الخط إلى نفسه، وامتنَّ به على عباده؛ وناهيك بذلك شرفاً!

وقال جل وعزَّ: ﴿ن والقلم وما يسطرون ﴾[14]. فأقسم بما يَسْطُرونه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾[15] أنه الخط وفي رواية جودة الخط.

ويروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام فقال: ريحٌ لا يبقى! قال فما قَيْدُه؟ قال: الكتابة.

وقيل: الخط أفضل من اللفظ؛ لأن اللفظ يُفَهِّم الحاضر فقط، والخطُّ يُفَهِّم الحاضر والغائب. ولله القائل في ذلك يصف القلم.

وأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالمُحْكَمَات وجُثْمَانُه صَامِتٌ أَجْوَفُ

بِمكَّـــةَ يَنْطِقُ في خُفْيَـــةٍ وبالشام مَنْطِـــقُه يُعْرَف

ويذكر القلقشندي[16]خبراً عن الصولي يقول: وقد قال إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب: أَطِلْ خُرْطوم قلمك. فقيل له: أله خرطوم؟ قال: نعم. وأنشد:

كأن أنوفَ الطير في عَرَصَاتِها خراطيمُ أقلامٍ تَخُطُّ وتُعْجِمُ

12- القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى في كتابة الإنشا. 1922م. الطبعة بدون، القـاهرة: دار الكتب المصرية. ج3، ص 5-7.

13- سورة الأعلى: 3-5.

14- سورة القلم: 1.

15- سورة الأحقاف: 4.

16- القلقشندي. المصدر السابق. ج2، ص448-449.

وقال عبد الحميد بن يحيى كاتبُ مروان لرغبان، وكان يكتب بقلم قصير البَرْية: أتريد أن يَجُود خطُّك؟ قال: نعم. قال: فَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلمَك وأسمِنْها، وحَرِّف القطة وأيمنها. قال رغبان: ففعلت ذلك فجاد خَطِّي.

ومن فضائل الخط ما ذكره الأصفهاني[17]:

قال عبيد الله بن العباس العلوي: الخطُّ لسانُ اليد.

وقال الحسن بن رجاء: الخط متنزّه الألحاظ ومجتنى الألفاظ.

ووصف أحمد بن اسماعيل خطاً: فقال: لو كان نباتاً لكان زهراً، ولو كان معدناً لكان تبراً، أو مذاقاً لكان حلواً، أو شراباً لكان صفواً.

وسئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ فقال[18]: "إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفهُ ولامهُ، واستقامت سطوره، وضاهى صعودَه حدورَه، وتَفَتَّحَتْ عيونَه، ولم تشتبه راؤه ونونُه، وأشرق قرطاسُه وأظلمت أنقاسُه (المداد)، ولم تختلف أجناسُه، وأسرع إلى العيون تصوُّره..." كأنه حينئذ كما قيل:

إذا ما تَجَلَّلَ قرطاسَه وساوره القلمُ الأرقشُ
تَضمَّن من خطِّه حُلَّةً كنقش الدنانير بل أنقش
حروفاً تُعيدُ لعين الكليلِ نشاطاً ويقرؤها الأخفش"

ووصف أحمد بن صالح من جارية خطَّاطة آلات كتابتها؛ فقال[19]:

17- الأصفهاني، حمزة بن الحسن. التنبيه على حدوث التصحيف. حققه: محمد أسعد طلس، راجعه: أسماء الحمصي و عبد المعين الملوحي. 1992م. الطبعة الثانية، بيروت: دار صادر. ص40 وما بعدها.

18- الأصفهاني. التنبيه... المصدر السابق. ص45-46.

19- الأصفهاني. المصدر السابق. ص46.

"كأن خطَّها أشكالُ صورتها، وكأن مدادَها سوادُ شعرها، وكأن قرطاسَها أديمُ وجهها، وكأن قلمَها بعض أناملها، وكأن بيانها سحرُ مقلتها، وكأن سكِّينَها غنجُ لحظها، وكأن مقطَّها قلب عاشقها".

و يقول القلقشندي في هذا السياق[20]: "... لم يزل الشعراء يَلْهَجون بمدح أشراف الكُتَّاب وتقريظهم ويتغالون في وصف بلاغاتهم وحُسن خطوطهم. فمن أحسن ما مُدِح به كاتب؛ قولُ ابن المعتز[21]:

إذا أَخَذَ القِرْطَاسَ خلْتَ يمينَهُ تُفَتِّحُ نَوْراً أَو تُنَظِّم جَوْهَراَ

وقال آخر:

يُؤَلِّفُ اللُّؤْلُؤَ المَنْثُورَ مَنْطِقُه ويَنْظِمُ الدُّرَّ بالأقلام في الكُتُب

ويذكر العسكري[22]: "أن من علامات جودة الخط الترقين؛ وهو النَّقْطُ في الكتاب، وأن تقرأه على نفسك، وتعتبره وتدبر بعضه ببعض. والشكل أيضاً من علامات الجودة في الخط. وممن مدح كثرة الشَّكل أحمد بن اسماعيل نَطَّاحَة الكاتب؛ فقال:

مُستَوْدِعٌ قرطاسَه حِكَماً كالرَّوْضِ مَيَّزَ بينَه زَهَرُهُ

وكأنَّ أَحْرُفَ خَطِّه شَجَرٌ والشَّكلُ في أضعافها ثَمَرُه

ومما يستحسن في هذا المعنى بيت ندر لابن المعتز

بِشَكْلٍ يُؤْمَنُ الإشكالُ فيه كأنَّ سُطورَه أغصانُ شَوْكِ"

20- القلقشندي. المصدر السابق. ج1، ص 46.

21- ابن المعتز. عبدالله. ديوان ابن المعتز. لاتاريخ. بيروت: دار صادر. ص 216.

22- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد. 1963م. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف. تحقيق: عبد العزيز أحمد . 1963م. الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ص16.

ويسوق لنا الأصفهاني[23] خبراً حول أهمية الشكل في الشعر؛ يقول فيه: "استهدى من أحمد بن اسماعيل دفتراً فيه (حدود الفراء) فأهداه إليه، وكتب على ظهره:

خُــذْهُ فقد سُوِّغت منــه مُشَــبَّهَاً بالــرَّوض أو بالبُــرْدِ في تَفْوِيفــه
نُظِمَتْ كما نُظِمَ السحابُ سُطُورُهُ وتــأنَّــقَ الــفَــرَّاءُ فــي تألــيفه
وشكلتُــهُ ونَقطْــتُه فَأَمِــنْتُ مِنْ تصحــيفه ونــجوتُ من تحريــفه
بستــانُ خــطٍّ غــيرَ أنَّ ثِــمارَهُ لا يُــجْتَــنى إلاّ بِشكلِ حُــرُوفِــه

وقالوا: المختار في صلاح الأقلام أن يُطال السنَّانِ ويُسَمَّنَا، وتُحَرَّف القَطَّةُ وتُيَمَّن، ويُفرقَ بين السطور، ويجمعَ بين الحروف".

وكما أثنوا وأشادوا بجودة الخط ومدحوا أهله، كذلك أُولِعُوا بذَمِّ حَمْقَى الكُتَّــاب، ولَهِجُوا يَهْجوهم في كل زمن. ومنه قول الشاعر في هجاء الكُتَّاب[24]:

وكــاتــبٍ أقــــلامُــــهُ مُــعَــــوَدات بــالــغَــلَــطْ
يَــكْشِــطُ مــا يَكْتــبُــــه ثــم يُــعــــيــدُ مــا كَشَــطْ

ويروي العسكري[25] أيضاً: "أن من مناقب خلف الأحمر أنه من أفضل ما عــدد من مناقبه أن قال:

لا يَهِم الحاءَ في القراءة بالخــا ء ولا يأخذ إسنادَه عن الصُّحف

وأنشد محمد لأبَّان اللاحِقِي في رَجلٍ كان كُلَّما أخطأ فَقِيلَ له: هذا لا يجوز، قال: في هذا لغة:

23- الأصفهاني. المصدر السابق. ص56/51. وللمزيد انظر؛ - الجاحظ. المــصدر الــسابق. ج1، ص47-48.

24- القلقشندي. المصدر السابق. ج1، ص 47.

25- العسكري. المصدر السابق. ص48/18.

يَكْسِرُ الشِّعْـرَ وإنْ عــاتَبْتَهُ في مُحَالٍ قــال فــي هــذا لُــغَةْ"

كما قالوا: جودة الخط إحدى البلاغتين، كما أن رداءة الخط إحدى الزمانتين[26].

2 ً - تحسين الخط

كلما كان الخط حسناً كان له أثر في النفس الإنسانية، وكلما كان رديئاً، قل أثره، وإن كانت أفكاره حسنة[27].

ويذكر القلقشندي[28] أن من علامات حسن الخط؛ مايلي:

"لا خفاء أن حُسن الخط من أحسن الأوصاف التي يتصف بها الكاتبُ، وأنه يرفع قَدْرَه عند الناس، ويكون وسيلةً إلى نُجح مقاصده، وبلوغ مآربه، مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد التي لا تكاد تُحصى كثرة.

وقد قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: (الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً).

وقال بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد، فإذا كان الإنسان جسيماً وسيماً حسن الهيئة، كان في العيون أعظم، وفي النفوس أفخم، وإذا كان على ضدّ ذلك سَئمتْه النفوسُ، ومجَّته القلوب، فكذلك الخط إذا كان حسنَ الوصف، مليحَ الرَّصف، مفتح العيون، أملس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشَّت إليه النفوس، واشتهته الأرواح؛ حتى إن الإنسان ليقرؤه وإن كان فيه كلام دنيء، ومعنى رديء، مستزيداً

26- الأصفهاني. المصدر السابق. ص56.

27- عطية، محسن علي. الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية. 2006م. الطبعة الأولى، عمــان: دار الشروق للنشر والتوزيع. ص216.

28- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص 24-25. وللمزيد انظر؛

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. لا تاريخ. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر. ج2، ص 961-972.

- الخولي، محمد علي. أساليب تدريس اللغة العربية. 1989م. الطبعة الثالثة، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية. ص 130-132.

منه ولو كثُر، من غير سآمة تلحقُه؛ وإذا كان الخط قبيحاً مَجَّته الأفهام، ولفظته العيون والأفكار، وسَئِم قارئه، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها، ومن الألفاظ غرائبُها.

ويقال: إن الخط مواز للقراءة، فأجود الخط أبينُه، كما أن أجود القراءة أبينها؛ ولا يخفى أن الخط الحسن هو البيّن الرائق البهيج... قال: فينبغي للكاتب أن لا يقدم على تهذيب خطه وتحريره شيئاً من آدابه فإن جودة الخط أولُ الأدوات التي ينتظم بحصولها له اسم الكتابة، ويُحْكم عليه إذا حازها بأنه من أهلها. وقد دخل بحُسن الخط في الصناعة[29] مَنْ إذا فُحص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزَّه الكتابة عن نسبته إليها".

ويتوصل إلى تحسين الخط بعدة أمور منها[30]:

الأول: معرفة تشكيل الحروف

قال في "مواد البيان": وهو الأصل في أدب الخط: لأن الخط إنما يسمى جيداً إذا حَسُنَتْ أشكال حروفه، وإنما يسمى رديئاً إذا قَبُحَتْ أشكال حروفه. وحُسن صور حروف الخط في العين شبيهٌ بحُسن مخارج اللفظ العذب في السَّمع. قال: والوجه في تصحيح الحروف أن يبدأ أولاً بتقويمها مفردةً مبسوطة لتصح صورة كل حرف منها على حيالها، ثم يؤخذ في تقويمها مجموعة مركبة، وأن يُبدأ من المركب بالثنائي، والثلاثي، ثم بالرباعي، ثم بالخماسي؛ فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التمثيل على توقيف المَهَرة في الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قلماً من الأقلام يصلُح لذلك الخط...

29- يقصد بكلمة الصناعة: الفن. لأنها كانت مستخدمة في العصور الماضية عند العرب الذين تحدثوا عن الجمال، ومنهم التوحيدي.

30- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص26.

الثاني: لواحق الخط: النَّقْط والإعجام

ينبغي للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ، ويبيِّن إعرابه، فإنه متى أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط، كثر فيه التصحيف وغلب عليه التحريف[31]. وأخرج بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "لكل شيء نورٌ، ونورُ الكتاب العَجْم".

وقد حكى محمد بن عمر المدائني أن جعفراً المتوكل كتب إلى بعض عُمَّاله: أن أَحْصِ مَنْ قِبَلَك من المدنيِّين وعَرِّفنا بمبلغ عددهم، فوقع على الحاء نقطة فجمع العامل مَنْ كان في عمله منهم وخَصَاهم فماتوا غير رجلين أو واحد".

وقد روى أن أول من نَقَطَ المصاحفَ ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. فإن أريد بالنقط في ذلك الإعجام، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء لوضع الإعجام، والظاهر ما تقدم؛ إذ يبعُد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرِيَّةً عن النقط إلى حين نَقْط المصحف.

وزاد العسكري[32] على النقط والإعجام سبباً آخر هو: الأخذ من أفواه الرجال؛ في حال عدم الركون إلى صحة الكتابة، والوثوق بمن يُنْقَل عنه.

ولكن عمر[33] يرى أن النقط موجود منذ القديم؛ حيث يقول: "عُثِرَ على بَرْدِيَّةٍ يرجع تاريخها إلى عام 22 هجرية على عهد عمر بن الخطاب وهي مكتوبة باللغتين العربية واليونانية، وقد نقطت فيها حروفُ الخاء والذال والزاي والشين والنون. كما

31- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص153-155. وللمزيد انظر؛
- التنسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله. الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز. دراسة وتحقيق: أحمد بن أحمد شرشال. 1420هـ. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ص71.

32- العسكري. المصدر السابق. ص13-16.

33- عمر، أحمد مختار. أنا واللغة والمجمع. 2002م. الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب. ص159. وللمزيد انظر؛
- الضامن، حاتم صالح. فقة اللغة. 2007م. الطبعة الأولى، الشارقة: مكتبة الصحابة. ص134-140.

عُثر على نقش بقرب الطائف يرجع تاريخه إلى عام 58 ثمانية وخمسين في عهد معاوية نقطت فيه أكثرُ حروفه التي تحتاج إلى نقط. كما أن هناك إشارات في المراجع العربية تدل على وجود النقط في الجاهلية. ومن ذلك:

أولاً: ما رُوِيَ عن ابن مسعود وهو قوله: جَرِّدوا القرآن. قال الزمخشري: أي من النَّقْط والفواتح والعُشور.

ثانياً: ما يرجحه القلقشندي في صبح الأعشى من أن الإعجام وضع على الحروف. وهذا الرأي الأخير هو الأكثر قبولاً في نظري إذ يَبْعُدُ أن تكون الحروفُ متشابهة قد وضعت أول أمرها على هذا اللَّبْس. ومع هذا فقد كان العربُ الخُلَّصُ، يعتبرون نقط الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه. ولذا كانوا يُجرِّدون كُتُبَهم من النقط... ولكن حين اختلط العربُ بالأعاجم وكَثُرَ التصحيفُ في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي، وُجدت الحاجةُ المُلِحَّةُ إلى التزام النَّقط في الكتابة".

الثالث: الشَّكْلُ

قال بعض أهل اللغة[34]: هو مأخوذ من شَكْلِ الدابة، لأن الحروف تُضبَط بقيد فلا يلتبس إعرابها، كما تُضبط الدابَّة بالشِّكال، فيمنعها من الهروب. قال أبو تمام[35]:

ترى الحادثَ المُستَعجِمَ الخَطْبِ مُعْجَماً لديه ومَشْكُولاً إذا كان مُشْكِلاً

ويُرَجَّح أن أول من وضع الشكل كما يذكر القلقشندي هو: أبو الأسود الدؤليُّ؛ وذلك عندما أراد أن يعمل كتاباً في العربية، يقوِّم الناسُ ما فسد من كلامهم: إذ كان قد فشا في الناس. فقال: أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً، فأحضر من يُمْسك المصحفَ، وأحضرَ صِبغاً يخالف لون المِداد. وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا

34- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص160-161.

35- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد عبـــده عزام. لا تاريخ. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف بمصر. مجلد 3. ص102.

فتحتُ فايَ فاجعل نقطةً فوق الحرف، وإذا كسرتُ فايَ فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممتُ فايَ فاجعل نقطةً أمام الحرف، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنَّة (يعني تنويناً) فاجعل نقطتين. ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف. وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لا غير. وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمزة والتشديد عن الروم والإشمام.

ويضيف عمر[36] "من المعروف أن هذه النقاطَ لم يبتَدعْها أبو الأسود الدؤلي ابتداعاً، وإنما أخذها عن السريان وبالتحديد من النساطرة. وبمرور الوقت وصعوبة حصول الكاتب على مدادين مختلفين أثناء الكتابة يكْتُبُ بأحدهما الكلمات، ونقاطَ الإعجام، وبالآخر نقاطَ الشكل، ولاضطراره أحياناً إلى كتابة الاثنين بمداد واحد، مما كان يُوقع في لبس، فَكَّر الخليلُ بن أحمد المتوفى 175 هجرية في الاستعاضة عن نَقْط الشكل برموز أخرى هي تلك الرموز التي نستعملها الآن، فَرَمَزَ للفتحة بجرَّةٍ عُلْوية وللكسرة بجرَّةٍ سفلية وللضمة برأس واو وللسكون بدائرة أو برأس جيم بلا نقط، وللشدة برأس شين بغير نقط وللهمزة برأس عين، ولألف الوصل برأس صاد. وبهذا صار من الممكن أن يجمع الكاتب بين شكل الكتاب ونَقْطِه بلون واحد ومداد واحد دون لبس ".

ولقد تشعبت آراء العلماء في قضية الشكل؛ فبعضهم يؤيد ذلك ويحث عليه، وبعضهم الآخر يعارضه ويرفضه جملة وتفصيلاً. وإليكم بيان ذلك بالتفصيل.

أ- آراء المؤيدين للشكل :

لقد اختلفت مقاصد الكُتَّاب في ذلك[37]، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه، والحث عليه: لما فيه من البيان والضبط والتقييد.

36- عمر. المصدر السابق. ص160.

37- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص161.

قال هشام بن عبد الملك: أُشْكُلوا قرائن الآداب، لئلا تَندَّ عن الصواب.

وقال علي بن منصور: حلُّوا غرائِب الكَلِم بالتقييد، وحَصِّنوها عن شُبَه التصحيف والتحريف.

ويقال: إعجام الكُتُب يمنع من استعجامها، وشَكْلُها يصونُها عن إشكالها، ولله القائل:

وكأنَّ أَحْرُفَ خَطِّه شَجَرُ والشَّكْلُ في أَغْصَانِه ثَمَرُ

ب- آراء المعارضين للشكل :

لقد عارض بعض الكُتَّاب الشكل ورغَّبَ عنه؛ لما فيه من إهانة واستخفاف بالمتلقي لهذا الكتاب[38]. ونورد فيما يلي بعض الأقوال للمعارضين لهذه القضية.

قال سعيد بن حميد الكاتب: لَأن يُشْكِل الحرفُ على القارئ أَحبُّ إليّ من أن يُعَابَ الكاتبُ بالشكل. ونظر محمد بن عَبَّاد إلى أبي عبيد وهو يقيد البسملةَ فقال: لو عَرفْتَه ما شكلتَه. وقد جَرَّدَ الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحف حين جمعوا القرآن من النقط والشكل وهو أجدر بهما، فلو كان مطلوباً لما جَرَّدوه منه.

ويقول أبو نواس في ذم النقط في كاتب نَقَطَ كتاباً أرسله إليه وشَكَله[39]:

يَا كَاتِبَـــاً كَتَبَ الغداةَ يَسُـبُّنِي مَن ذَا يُطِـيْقُ بَـراعةَ الكُـــتَّاب

لـــم تَرْضَ بالإعجام حين كَتَـبْتَه حـــتى شَـــكَلْتَ عليه بـــالإعراب

أحسستَ سوءَ الفـــهم حين فعلتَه أم لـــم تـــثقْ بي في قِـــراءِ كتاب

38- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص161.

39- أبو نواس، الحسن بن هانئ. ديوان أبي نواس. حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد العزيز الغزالي. لا تاريخ. بيروت: دار الكتاب العربي. ص 709. وانظر:

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله. أدب الكُتَّاب. شرح وتعليق:أحمد حسن بسج. 1994م. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية. ص54.

لو كنت قَطَّعتَ الحــروفَ فهمتُها مــن غير وصــلِكَهُنَّ بالأنساب

فأردت إفهـــــامي .. فقد أفهمتني وصدقت فيــما قلت غير محابي

3 ً - معايير الجودة في الخط

يذكر القلقشندي أن معايير الجودة في الخط على ضربين [40]:

الضرب الأول: حُسْن التشكيل

قال الوزير أبو علي بن مُقْلة: وتحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء:

الأول: التوفية؛ وهي أن يُوَفَّى كل حرف من الحروف حظَّه من الخُطُوط التي يركب منها: من مقوّس ومُنْحنٍ ومُنْسَطِح.

الثاني: الإتمام؛ وهو أن يعطى كلُّ حرف قِسمتَه من الأقدار التي يجب أن يكون عليها: من طُول أو قِصَر أو دِقَّة أو غِلَظ.

الثالث: الإكمال؛ وهو أن يؤتى كل خط حظَّه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها: من انتصاب، وتسطيح، وانكباب، واستلقاء، وتقويس.

الرابع: الإشباع؛ وهو أن يؤتى كلُّ خط حظه من صَدر القلم، حتى يتساوى به، فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ، إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية؛ مثل: الألف والراء ونحوهما.

الخامس: الإرسال؛ وهو أن يُرسِلَ يدَه بالقلم في كل شكل يجري بسُرعة، من غير احتباس يُضَرِّسه، ولا تَوَقُّف يرعشه.

الضرب الثاني: حُسْن الوَضْع

قال الوزير: ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء.

40- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص143-145.

الأول: الترصيف؛ وهو وصل كلِّ حرف متصل إلى حرف.

الثاني: التأليف؛ وهو جمع كلِّ حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن.

الثالث: التسطير؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطراً منتظم الوضع كالمسطرة.

الرابع: التتصيل؛ وهو مواقع المَدَّات المستحسنة من الحروف المتصلة. وهذه المدَّات تستعمل لأمرين:

أحدهما: أنها تُحسِّن الخط وتفخِّمه في مكان، كما يُحَسِّن مَدُّ الصوت اللفظَ ويفخِّمه في مكان.

الثاني: أنها ربما أوقعت ليتم السَّطْر، إذا فضل منه كلمة فتمدَّ التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه.

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف: مواضع المدِّ أواخر السطور، وتُكرَه إذا كانت سيناً مدغمة.

هذه علامات الجودة في الخط كما ذكرها أهل الصنعة في هذا المجال. وإذا طُبِّقت بشكل دقيق فإن الخط يُوصَفُ بالجودة عند ذلك وإلاّ فلا. والآن نناقش علامات الترقيم كما وضَّحها العلماء القدامى.

ثالثاً: علامات الترقيم

هل علامات الترقيم جديدة في الكتابة العربية أم أنها قديمة؟

يقول الكردي[41]: "مخترع علامات الترقيم هم الأتراك منذ سنة 1300 هجرية تقريباً، فقد رأينا كتاباً باللغة التركية، مطبوعاً بالحروف العربية، مذكور فيه علامات

41- الكردي، محمد طاهر. الخط العربي. 1982م. الطبعة الثانية، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون. ص 497.

الترقيم بالتفصيل التام، رأيناه عند أحد الحجاج بمكة المشرفة وذلك في سنة 1369هجرية".

ويقول الخولي[42]: "إن من عيوب الكتابة القديمة رصّ كلماتها رصاً متجاوراً، لا فرجة بينها، ولا نهاية لجملها، ولا فواصل تحدها، مما نشأ عنه تداخلُ أجزاء الجمل بعضها في بعض، واضطراب المعاني، نتيجة لهذا الخلط، وهذا التداخل، خاصة وأن 'الشكل' لم يكن شائعاً كما هو عليه الآن".

ولكنني أخالفهما الرأي للأسباب التالية:

أولاً: لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقطِّع قراءته. لقد ثبت عن أم سلمة، رضي الله تعالى عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ كان إذا قرأ: قطَّع قراءته آية آية؛ يقول ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف. ثم يقول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثم يقف. ثم يقول ﴿الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين﴾. رواه أبو داود ساكتاً عليه، والترمذي وأحمد، وأبو عبيدة وغيرهم؛ وهو حديث حسن، وسنده صحيح[43].

ثانياً: "لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يهتمون عند قراءة مسائله مشافهة، ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة، أخرج ابن النحاس عن ابن عمر رضي الله عنه، أنه قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتتزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها، وما ينبغي

---

* وفي سؤالي - في المقابلة الشخصية لإثنين من أشهر خطاطي المصحف الكريم في العالم - عن بداية تاريخ كتابة هذه العلامات في الكتابة العربية؛ أفادا: بأن هذه العلامات حديثة العهد، ولم تكن معروفة منذ القديم. وإنما هي من الأمور الجديدة نوعاً ما في الكتابة العربية.

42- الخولي، فتحي. دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية. 1988م. الطبعة الخامسة، جدة: مكتبة المنهل، والقاهرة: مكتبة وهبة. ص 169-170.

43- ابن الجزري، أبي الخير محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر. قدَّم له: علي محمد الضباع. خرّج آياته: زكريا عميرات. 2002م. الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية. ج1، ص178.

أن يوقف عنده منها. واستمر السلف الصالح من الصحابة والتابعين، يتناقلون مسائل هذا العلم مشافهة إلى أن جاء عصر التدوين، فبدأ العلماء بالتأليف فيه، وأول من نعلم أنه ألف في الوقف والابتداء: شيبة بن نصاح المدني الكوفي (130هـ)، قال ابن الجزري: هو أول من ألف في الوقوف، ولم يصلنا كتابه[44]".

ثالثاً: يضيف الداني على هذا القول مايلي[45]:

"أما النحو، فلا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرافع، ولا على المنصوب دون الناصب، ولا عكسه، ولا على المؤكد دون التأكيد، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا على إن وأخواتها دون اسمها، ولا على اسمها دون خبرها، وكذا ظننت، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء، ولا على المفسر عنه دون التفسير، ولا على الموصول دون صلته، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهم عنه، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذي بينهما، ولا على الذي يليه دون الجواب. والحاصل أنه كل شيء كان تعلقه بما قبله لا يجوز الوقف عليه".

فهذه النصوص تدل دلالة قوية على أهمية استخدام الوقف بين أجزاء الكلام، ولمعرفة المعنى التام من عدمه. وهي تشير إشارة واضحة إلى أن علامات الترقيم ضرورية في الكتابة للمحافظة على جودتها، ومعرفة بداية الجمل ونهايتها.

رابعاً: لقد كان الكُتَّاب يراعون فواصل الكلام في الإنشاء، وأين توضع هذه العلامات بشكل صحيح كما يذكر القلقشندي؛ حيث يقول[46]:

44- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل. دراسة وتحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. 1987م. الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة. ص49.

45- الداني. المكتفى... المصدر السابق. ص58.

46- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص149-150.

الخط إذا كان متميز الفُصول، وصل معنى كلِّ فصل منه إلى النفس على صورته، وإذا كان متصلاً دعا إلى إعمال الفِكْر في تخليص أغراضه.

وقد اختلفت طُرُق الكُتَّاب في فصول الكلام الذي لم يُمَيَّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه. فالنُّسَّاخ يجعلون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين، وكُتَّابُ الرسائل يجعلون للفواصل بياضاً يكون بين الكلامين؛ من سجع أو فصل كلام، إلا أن بياض فَصْل الكلامين يكون في قدر رأس إبهام، وفصل السجعتين يكون في مقدار رأس خِنْصر.

أضف إلى ذلك؛ ما ذكره القلقشندي عن صاحب "مواد البيان"[47]: "وينبغي أن لا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول السطر الذي يليه، فإنه مُلْبِس لاتصال الكلام؛ بل لا يجعل في أول السطر بياضاً أصلاً لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور؛ ولا أن يُفْسِح بين السطر والذي يليه إفساحاً زائداً عما بين كل سطرين، ولكن يُراعي ذلك من أول شروعه في كتابة السطر فيقدّر الخط بالجمع والمشْق حتى يخلُصَ من هذا العيب".

ويذكر الأصفهاني[48] خبراً عن يحيى بن خالد يقول فيه: "الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصُول".

يلفت الأصفهاني انتباهنا إلى أهمية استعمال علامات الترقيم في الكتابة، لكي نعرف فواصل الكلم بعضه من بعض.

تؤكد لنا هذه النصوص على أن الكُتَّاب راعوا علامات الترقيم، وتنبَّهوا إلى أماكنها الصحيحة، التي يجب أن توضع فيها.

وعلاوة على ذلك؛ لقد ذكر العلماء العرب أيضاً، مثالب فواصل الكلام، إن وضعت في غير مكانها أثناء الكتابة: وها هو القلقشندي يذكر ذلك فيما يلي[49]:

47- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص149-150.

48- الأصفهاني. المصدر السابق. ص40 وما بعدها.

§ حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها:

لأن السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيء يتعلق بما بعده كان قبيحاً، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول السطر الذي يليه. إن الفصل المستقبَح في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان:

الصنف الأول: فصلُ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها في السطر الذي يليه:

مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" في آخر السطر، فيكتب الكافَ والتاءَ والألفَ في آخر السطر والباءَ في أول السطر الذي يليه؛ أو يقع في آخر السطر لفظُ "مسرور" فيكتب الميمَ والسينَ والراءَ فيه والواوَ والراءَ الثانية في أول السطر الذي يليه ونحو ذلك.

قال في "مواد البيان": وهو قبيح جداً لأنه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه. إن هذا العيب موجود في اللغة الإنجليزية واللغات الأوربية الأخرى؛ فهي تقطع الكلمة في نهاية السطر، وتضع شرطة بعدها، وتتمها في بداية السطر التالي.

الصنف الثاني: فصل الكلمة التامة وصلتها

مثل أن يكتب "وصلَ كتابُكَ وأيدَّك الله" مُفَصَّلات، فيكتب "وصل" في آخر السطر و"كتابك" في أول السطر الذي يليه، أو يكتب "أيدَّك" في آخر السطر؛ واسم "الله" تعالى في أول الذي يليه، وما جرى مجرى ذلك.

قال في "مواد البيان" والأحسن تجنُّبه إذا أمكن، فإن لم يمكن فيتجنَّبُ القبيحُ منه، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه: كعبد الله وغلام زيد وما أشبه. لأن

49- القلقشندي. المصدر السابق. ج3، ص151-152. وللمزيد انظر؛
- الصولي. المصدر السابق. ص49.

المضاف والمضاف إليه بمنزلة الاسم الواحد... ثم قال: ومما يَقْبُح فصلُه الفصلُ بين كل اسمين جُعلا اسماً واحداً نحو حضرموت، وتأبط شراً، وذي يزن، وأحد عشر[50].

الخاتمة

نحاول في هذه الخاتمة أن نجيب عن أسئلة البحث، وأن نعرض خلاصة موجزة له.

من خلال اطلاعنا على أدبيات البحث في هذا المجال؛ وجدنا أن الجودة موضوع قديم، قدم الشعر الجاهلي. وأن العرب أشبعوها بحثاً ودراسة. كما ناقشوا معايير الجودة في الخط العربي، وتطرقوا إلى استخدام علامات الترقيم في الكتابة، لا كما يرى بعض المعاصرين من أن هذه العلامات حديثة العهد في الكتابة.

ومن خلال مناقشتنا لموضوع الجودة؛ في: الشعر، والمعنى، والخط، وعلامات الترقيم استنتجنا مايلي:

1- في الشعر: كان له النصيب الوافر عند العرب، وأنه أول ما طُرِقَ من الموضوعات في ميدان الجودة. ولقد كان الشعراء والنقاد يصدرون أحكامهم على أجود القصائد، ويوصون بتعليقها على الكعبة تمييزاً لها، وإشهاراً لصاحبها.

2- في المعاني: لم تكن المعاني بعيدة عن أذهان العلماء العرب السابقين. لقد احتلت عندهم مكانة سامية في علم البلاغة. وكانت (المعاني) هي المقصودة من الكلام - وهي الأصل - لا الألفاظ. وهذا ما حدا بعالم اللغة الأمريكي (اليهودي الأصل)

50- للمزيد انظر، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل. عمدة الكُتَّاب. عناية: بسام عبد الوهاب الجابي. 2004م. الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع. ص362.

تشومسكي[51] إلى أن يركز في نظريته اللغوية على المعنى العميق للجملة - (الذي هو المعنى عند الجرجاني) - لا المعنى السطحي للجملة (الذي هو اللفظ الظاهر).

3- في الخط: لم يهمل العلماء العرب القدامى هذا الموضوع، بل بحثوه بإسهاب. حيث فصّلوا القول في فضائله: وإنه صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصُول. كما أثنوا عل مجيدي الخط ومدحوهم وأشادوا بهم، وذموا حمقى الكتاب وهجوهم. ومن علامات حسن الخط: معرفة تشكيل الحروف، ونقطها، وإعجامها، وشَكْلِها، وبيان آراء المؤيدين للشكل والمعارضين له، ووضَّحوا معايير الجودة فيه؛ وهي: اعتدال أقسامه، وطول ألفه ولامه، واستقامة سطوره، ومضاهاة صعوده حدوره، وتَفتّح عيونه، والتمييز بين رائه ونونه، وإشراق قرطاسه، وإظلام أنقاسه (المداد)، ولم تختلف أجناسُه، وأسرع إلى العيون تصوُّره. وغير ذلك من الأمور ذات الصلة به.

4- أما علامات الترقيم: فقد اهتموا بها اهتماماً كبيراً منذ أن عرفوا الخط، وراحوا يبحثون عن سر جماله. ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته للتنبيه على أهمية استعمال علامات الترقيم هذه. وإن عدم استعمالها في الكتابة له مفاسد كثيرة في القراءة؛ وذلك لمعرفة المعنى التام من عدمه، ومعرفة بداية الجملة

51- جاسم، جاسم علي و جاسم، زيدان علي. نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين تشومسكي مجدد النحو العربي. 2010م . مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد الثالث، العدد الأول. الصفحات. 1-18.

- جاسم، جاسم علي. علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. 2009م. مجلة العربية للناطقين بغيرها. العدد السابع، السنة السادسة. الصفحات 29-95.

- جاسم، جاسم علي. تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي. 2009م. مجلة التراث العربي بدمشق، العدد 116، السنة التاسعة والعشرون، ص 69-82.

ونهايتها. وبيَّنوا مواضع هذه العلامات في الكتابة كي تكون واضحة في فصل الكلام ووصله وغير ذلك من الأمور والقضايا الجوهرية المتعلقة بهذا الجانب.

التوصيات والمقترحات:

يوصي الباحث بأن تهتم الدراسات المستقبلية في دراسة موضوع الجودة في كل المهارات اللغوية، مثل: الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة. وأن تُعرض معايير الجودة في التراث وتُقابل على نظيرتها في القرن الحادي والعشرين، وبيان إسهامات العرب القدامى في هذا المجال، وريادتهم فيه.

كما يقترح الباحث أيضاً أن يُهتم ببحث ودراسة موضوع أنواع الخطوط، وقواعدها، وجمالياتها، ومدارسها، ونظامها، وطرق ضبطها، وطرق فحص الخطاطين لها، وغير ذلك من المسائل ذات الصلة بهذا الأمر.

المصـــادر والمراجع

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن. التنبيه على حدوث التصحيف. حققه: محمـــد أســـعد طلس. راجعه: أسماء الحمصي و عبد المعين الملوحي. 1992م. الطبعة الثانيـــة، بيروت: دار صادر.
- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى. أشعار الشعراء الستة الجـــاهليين. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. 1983م. الطبعة الثالثـــة، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد عبده عزام. لا تاريخ. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف بمصر.
- التنسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله. الطِّراز في شرح ضـــبط الخـــرَّاز. دراســـة وتحقيق: أحمد بن أحمد شرشال.1420هـــ. المدينة المنورة: مجمـــع الملـــك فهـــد لطباعة المصحف الشريف.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. وضع حواشيه: محمد باسل عيـــون السود. 2003م. الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الجزري، أبي الخير محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر. قدَّم له: علـــي محمد الضباع. خرّج آياته: زكريا عميرات. 2002م. الطبعة الثانية، بيـــروت: دار الكتب العلمية.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عـــز وجل. دراسة وتحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. 1987م. الطبعـــة الثانيـــة، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ربيعة، لبيد بن. ديوان لبيد بن ربيعة العامري. بيروت: دار صادر.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير. المعجـــم الأوســـط. 1428هـــــ. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله. أدب الكُتَّاب. شرح وتعليق:أحمد حسن بسج. 1994م. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف. تحقيق: عبد العزيز أحمد. 1963م. الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم. الشعر والشعراء. حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: مفيد قميحة ومحمد أمين الضنّاوي. 2006م. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى في كتابة الإنشا. 1922م. الطبعة بدون، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى. الموشح. تحقيق: علي محمد البجاوي. 1965م. القاهرة: طبعة دار نهضة مصر.
- ابن المعتز. عبدالله. ديوان ابن المعتز. لا تاريخ. بيروت: دار صادر.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل. عمدة الكُتَّاب. عناية: بسام عبد الوهاب الجابي. 2004م. الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو نواس، الحسن بن هانئ. ديوان أبي نواس. حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد العزيز الغزالي. لا تاريخ. بيروت: دار الكتاب العربي.

المراجع

- جاسم، جاسم علي وجاسم، زيدان علي. نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين تشومسكي مجدد النحو العربي. 2010م. مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد الثالث، العدد الأول. الصفحات: 1-18.

- جاسم، جاسم علي. علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. 2009م. مجلة العربية للناطقين بغيرها، تصدر عن معهد اللغة العربية في جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، العدد السابع، السنة السادسة. الصفحات: 52-57.
- جاسم، جاسم علي. تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي. 2009م. مجلة التراث العربي بدمشق، العدد 116، السنة التاسعة والعشرون. الصفحات: 69-82.
- الخولي، فتحي. دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية. 1988م. الطبعة الخامسة، جدة: مكتبة المنهل، والقاهرة: مكتبة وهبة.
- الخولي، محمد علي. أساليب تدريس اللغة العربية. 1989م. الطبعة الثالثة، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.
- الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين. شرح المعلقات العشر. 1983م. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الضامن، حاتم صالح. فقة اللغة. 2007م. الطبعة الأولى، الشارقة: مكتبة الصحابة.
- عطية، محسن علي. الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية. 2006م. الطبعة الأولى، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عمر، أحمد مختار. أنا واللغة والمجمع. 2002م. الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب.
- الكردي، محمد طاهر. الخط العربي. 1982م. الطبعة الثانية، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2011/3/24